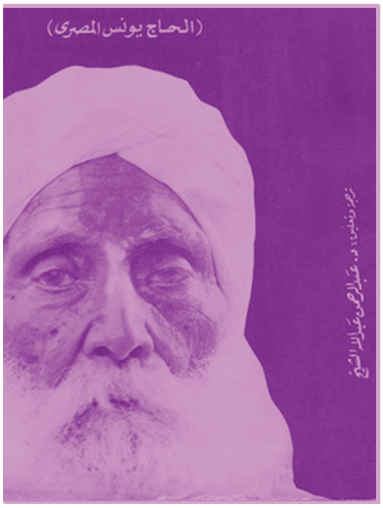

سبب آخر هو ظهور الدّعوة السلفية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقيام الدولة السعودية الأولى. لقد توجه رحالة تلك الفترة الذين زاروا السعودية إلى وصف المجتمع وعاداته ونظمه وقيمه، وكذلك البلدان (المدن والقرى) من النواحي المعمارية من حيث التخطيط، والرفع المساحي. وامتدت هذه الرحلات بشكل منظم بين عامي ١٧٦١ حتى ١٩٦٠ إذ تبدأ، حسب تقديري، بنيبور وتنتهي بوفاة فيلبي.

وبالفعل، كان من رواد هذا الاتجاه الرحالة الدنماركي كارستن نيبور Carsten Niebuhr (١٧٣٣- ١٨١٥)، إذ زار الحجاز والجنوب ضمن فريق علمي عام ١٧٦١، وهو أول من زار جزيرة العرب، ووصف الرحالة الإثنوغرافي المجتمع وعاداته ومذاهبه الدينية، وأشار إلى الدعوة الوهابية في بداية نشأتها، وترجمت رحلته بعنوان: «رحلات إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلدان أخرى مجاورة لها». أما الرحالة البريطاني وليم بلجريف William Palgrave (١٨٢٦-١٨٨٨)، فقد زار كثيرًا من البلدان التي تقع الآن شمال المملكة ووسطها، وتنقل فيها عاما كاملا، ثم أصدر كتابا تُرجم إلى العربية بعنوان: «وسط الجزيرة العربية وشرقها». ويعد الرحالة البريطاني جو فيلبي John Phillby (١٨٨٥- ١٩٦٠) أشهر رحالة زار المملكة، وقد بدأ حياته بوصفه ضابط مخابرات مهمته إقناع الحكومات العربية بالتخلي عن الدولة العثمانية وبناء علاقات مع بريطانيا، وقد أولع باستكشاف جزيرة العرب، وكتب حولها أكثر من ثلاثة عشر كتاباً، من أشهرها «قلب الجزيرة العربية». ومن أواخر كتبه «أربعون عاماً في البرية». وإلى جانب من ذكرنا، يوجد رحالة غربيون كثر، من أمثال: داوتي، وسادلير، وبوركهارت، ويمكن تتبع أكثرهم في كتب مترجمة، مثل «الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية» لروبن بدول Robin Bidwell، و«اكتشاف جزيرة العرب» لجاكلين بيرين، و«مسيحيون في مكة» لأوغست رالي.

وتمثل المادة العلمية التي خلفها لنا هؤلاء الرحالة الوصافون الإثنوغرافيون الذين أدلى البعض منهم بتحاليل أنثروبولوجية مهمة، مادة تاريخية واجتماعية غنية ودسمة، يمكن من خلالها تتبع تطور المجتمع السعودي وتبدل قيمه وعاداته في الكثير من الموضوعات، ومنها تأثير الدين في سلوك الناس، وخصوصيات مجتمع الحجاز، وحركة الأسواق، وأشكال الأزياء، ومجال حياة المرأة، وكيفية قبول

إن بواكير الدراسات الاجتماعية في السعودية ذات مصدرين أساسيين، كلاهما من خارج المجتمع السعودي، وهما الاستشراق الكلاسيكي والاستشراق الجديد